الذكر المضاعف

سبحان الله وبحمده عدد خلقه

عن جويرية رضي الله عنها: أن النبي ﷺ خَرَجَ من عندها بُكْرَةً حينَ صَلّى الصُّبْح وهِيَ في مسْجدها «المكان الذي كانت تصلي فيه» ثم رجَعَ بعد أن أَضْحَى «دخل وقت الضحى» وهي جالسة فقالَ: ما زلتِ على الحال التي فارقْتُك عليها؟ قالتْ: نَعَم قَالَ النبي ﷺ: **لقد قُلْتُ بعدَكِ أربَعَ كلماتٍ ثَلاثَ مرات لو وُزِنَتْ بما قلتِ منذُ اليوم لوزَنَتْهُن «سُبْحَان الله وبحْمدِه عَدَد خَلْقِه، ورِضَا نَفْسِه وَزِنَةَ عَرْشِه، ومِدَادَ كَلِمَاتِه»**[1].

وفي رواية: **«سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ خَلْقِهِ سُبْحَانَ اللهِ عَددَ خَلْقِهِ ثَلَاثًا، سبحان اللّه عدد خلقه، سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ»**[2].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٦).

(٢) أخرجه أحمد برقم (٢٧٤٦١)، والنسائي برقم (١٢٧٥)، والترمذي برقم (٢٨١٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٦٢٤).

وقفات إيمانية

الوقفة الأولى: سبحان الله وبحمده عدد خلقه.

أي: اللهم أسبحك وأنزهك وأنا متلبس بحمدي لك، وثنائي عليك عدد كل مخلوق كان أو هو كائن أو سيكون ولم لا أسبحك، والكون كله خاضع لك وسبح كما قال ﷻ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء].

* فكأنك عند قولك: (سبحان الله) تقول: إلهي ومحبوبي ومعبودي أُنَزِّهُكَ عما لا يليقُ بك من سوء ونقص، وشبيه ومثيل.

* وعند قولك: (وبحمده): كأنك تقول: إلهي ومولاي، ومَنْ عليه توكّلي وعليه اعتمادي، أَحْمَدُكَ وأُمْدَحُكَ وأُثْنِي عليك بجميل صفاتك، وعظيم نعمك.

* وكثيرًا ما قُرِنَ التسبيح بالتحميد كما في قوله سبحانه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٩٨]، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ٥٨]، ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤].

ونحو ذلك من الآيات، وكما جاء عن النبي ﷺ قال: «**إن أحبّ الكلام إلى الله: سُبْحَانَ الله وبِحَمْده**»[1].

اعلم أن نفي العيب ليس مدحًا بمجرده، بل لا بد معه من إثبات ضده؛ لذا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣١).

قرن بينهما كثيرًا كما سبق لأن كلًّا منهما يستلزم معنى الآخر إذا أفرد وعند الاقتران يعطى كل منهما معناه الخاص[١].

فالتسبيح: تنزيه لله ﷻ، ونفي لكل نقص، وسوء، وشر في حقه ﷻ، والحمد: إثبات لكل جلال وكمال لله ﷻ.

وسَلْ الواحةَ الخضراء والماءَ جاريًا ... وهَذِي الصَحاري والجبال الرّوَاسيا
وسَلْ هذه الأنسَام والأرضَ والسَّما ... وسَلْ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُ الحَمْدَ سَارِيا
فلو جفّ هذا اللّيلُ وامتدّ سَرْمَدا ... فَمَنْ غير ربّي يَرجِعُ الصُبح ثانيا؟[٢]

سجود شجرة

عن ابن عباس ﷺ قال:

«كنت عند النبي ﷺ فأتاه رجل. فقال: إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنِّي أُصَلِّي إِلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ فَقَرَأْتُ السَّجْدَةَ فَسَجَدْتُ فَسَجَدَتِ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِي فَسَمِعْتُهَا تَقُولُ: اللَّهُمَّ احْطُطْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا وَاكْتُبْ لي بِهَا أَجْرًا وَاجْعَلْهَا لي عِنْدَكَ ذُخْرًا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ مِثْلَ الَّذِي أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ عَنْ قَوْلِ الشَّجَرَةِ»[٣].

(١) التسبيح في الكتاب والسنة (١/١٩٦).
(٢) سلسلة مصابيح الهدى، محمد بن إبراهيم، ص٨.
(٣) أخرجه الترمذي (٥٢٨) وابن ماجه برقم (١٠٤٣) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٨٦٥).

خضوع البحر وتسليم الرعد

قال ﷺ: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ [الطور] «أي: الممنوع الممسوك حتى لا يغرق أهل الأرض»، وكان عبد الله بن الزبير ﷺ إذا سمع قوله ﷺ: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣] ترك الحديث وقال: سُبْحَانَ الذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ والمَلَائِكَةُ من خِيْفَتِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا لَوَعِيْدٌ شَدِيدٌ لأَهْلِ الأَرْضِ(١).

ومثل هذا ورد عن ابن عباس ﷺ كان إذا سمع الرعد قال: سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ(٢).

سجود الشمس وتسبيح الطعام

عن أبي ذر ﷺ قال: دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس عند غروب الشمس قال ﷺ: «**يا أَبَا ذَر أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ**». قَالَ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ ﷺ: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ تَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا اطْلُعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا**. قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ ﷺ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨﴾(٣).

* قال ابن مسعود ﷺ: لقد كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب للمفرد رقم (٧٢٣) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم (٢٦٩).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (٧٢٢). وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم (٥٥٩).

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٧٤٢٤).

(٤) أخرجه البخاري، برقم (٣٣١٤).

الوقفة الثانية: سبحان الله عدد خلقه:

* **عدد خلقه**: أي أُسَبِّحُك مولاي تسبيحًا يليقُ بجلالك عدد ما خلقت في السموات والأرض، وعدد ما بينهما، وعدد ما شئت، فمن أنت أيها العبد في هذا الكون العظيم والخلق الهائل؟ مَنْ أنت بغير مولاك الخالق الذي لا يعلم أحد عدد ما خلق، وسر ما خلق سبحانه:

عجِبْتُ للأرض تُعطِي الخيْرَ مَن ذَا ... الذي يُجْبُرهَا على إنبَات مما فِيها؟
عجِبْتُ للسماء مَن الذي رَفَعها ... ومِن السّقوط يحميها؟
عجِبْتُ للجِبَال الشُم الراسيات مَنْ الذي ... ثَبّتَها ومَنْ فِي الأرضِ يُرْسِيها؟
عجِبْتُ للحيّةِ الرّقْطَاء مَسْكَنُهَا بينَ ... الصّخْر ولا ماء بين الصخر يرويها[1]

عظمة خالق

(١) خلق الله سبحانه الحوت الأزرق ويزن مائة وخمسين طنًا، ويُسْتَخرَجُ منه تسعون برميلًا من زيت السمك، وفيه خمسون طنًا من اللحوم ومثلها من الدهن. فأي خلق كخلقه ﷻ؟! ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

(٢) العصب البصري في العين يتكون من تسعمائة ألف عصب لهذا تستطيع عيناك أن ترى عشرات المناظر في الثانية.

(٣) قلبك يضخ في اليوم ثمانية أمتار مكعبة دون كلل.

(٤) الكليتان يمر فيهما الدم يوميًّا خمس مرات قاطعًا مئة كيلو متر.

(٥) عنق الفخذ يتحمل وزنا يزيد على مئتين وخمسين كيلو لكل عظم.

(٦) الطيور: بعضها يرى ثمانية أمثالك.

---

(١) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (٤/ ٩٣).

(٧) الكلاب: بعضها يشم بدقة تزيد على مليون ضعف من شم الإنسان.

(٨) الماء: من حولك لا لون ولا طعم ولا رائحة له. لأنه لو كان له لون لربما ضايقك، ولو كان حلوًا ربما لا يعجبك ولو كان لَزِجًا فبم تغسل جسدك؟.

(٩) الشمس عمرها آلاف السنين وطاقتها لا تضعف، أي عظمة هذه؟!

(١٠) ماء الأذن شديد المرارة حتى لا يتجاوز باطن الأذن، وفي الأذن ثلاثون ألف خلية سمعية لنقل أدق الأصوات.

(١١) ماء العين خلقه المولى سبحانه مالحًا ليحفظها.

(١٢) الفم جعله الخالق المنان عذبًا ليدرك به طَعْم الأشياء.

(١٣) خلق الله ﷻ في الدماغ ١٣ مليار خلية عصبية.

(١٤) في جسمك ما يزيد على خمسة وعشرين مليون كرية حمراء، وعمر هذه الكرية يزيد على مائة وعشرين يومًا، وبعدها تموت، وتقطع في العمر ما يزيد على ألف ومائة وخمسين كيلو مترًا في جسم الإنسان وتنقل ما يزيد على ستمائة لتر من الأكسجين.

(١٥) قلبك (مضخة حياتك التي لا تتوقف) ينبض يوميًّا مايزيد على مائة ألف مرة يضخّ خلالها (٨٠٠٠) لترًا من الدم.

(١٦) أوعيتك الدموية يصل طولها إلى (٩٦٠٠) كم. أي خلق هذا؟! ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

ورضا نفسه

سبحانك ربي: أسبحك تسبيحًا هو في العظمة والجلال، والكمال مساوٍ لرضا نفسك، ورضا المولى سبحانه لا منتهى لبركاته وثمراته.

فأحضر قلبك وأنت تُثني على مولاك قدر رضاه وما رضاه إلا كرمه وإحسانه وعفوه وجوده.

فيا لعظمة الذكر، وعلو شأنه، وجميل أثره!!

❁ ❁ ❁

الوقفة الثالثة: سبحان الله زنة عرشه:

❁ سبحانك: أسَبِّحُك مُنزِّهًا وإياك عما لا يليق بك، ومعظِّما لك بما أنت أهله وذلك قدر وزن عرشك الذي لا يعلمه إلا أنت.

قال البيهقي: اتفقت أقاويل أهل التفسير على أن العرش جسمٌ خَلَقه الله وأَمَرَ ملائكته بحمله، وتعبّدهم بتعظيمه، والطواف به، كما خلق في الأرض بيتًا وأمر آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة[1].

والعرش أثقل المخلوقات وأعظمها وأوسعها؛ إذ لو كان شيء أثقل منه لوزن به التسبيح[2].

قال ﷻ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ [المؤمنون]،

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٥١٢).

(٢) المنار المنيف، لابن القيم، ص٣٧.

وقال ﷺ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَك مِنْ مَلائكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ»(١).

وقال ﷺ: «ما السَّمَوَاتُ السَّبْعُ في الكُرْسِيّ إلا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاة بأَرْضٍ فَلاةٍ، وَفَضل العَرْشِ عَلَى الكُرْسِيّ كَفَضل تِلْكَ الفَلاةِ عَلَى تِلْكَ الحلَقَةِ(٢).

وصدق ابن رواحة في قوله:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ... وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الكَافِرِيْنَا
وَأَنَّ العَرْشَ فوقَ المَاءِ طَافَ ... وَفَوقَ العَرْشِ رَبُّ العَالَمِيْنَا
وَتَحْمِلُهُ مَلائكَةٌ كِرَامٌ شِدَادٌ ... مَلائكَةُ الإِلَهِ مُسَوَّمِيْنَا(٣)

❋ ❋ ❋

الوقفة الرابعة: مداد كلماته:

سبحانك أُسَبِّحُك تسبيحًا يماثل كلماتك في العدد، والعظمة في الثواب والنعيم، ومعلوم أن كلمات المولى سبحانه لا يمكن حصرها.

قال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان].

وهنا سؤال: كيف لهذه الكلمات هذا الثواب العظيم، وهناك غيرها أكثر عددًا منها، ولا يترتب عليها مثل هذا الثواب؟

لأن في هذا الذكر من صفات الكمال والجلال، ما يوجب أن يكون

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٧٢٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٩).

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء الصفات برقم (٨٣١) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٠٩).

(٣) معارج القبول، حافظ أحمد حكمي (١/ ١٧٦).

في الأجر والفضل أعظم من غيره[1]، ولا قياس في ذلك، فهذه رحمة الله بعباده، إذ أرشدهم إلى ما يُرقّيهم في مدارج العبودية، ويسمو بهم إلى مراتب الطاعة بأقل جهد، وأقل وقت، وأطيب ذكر ونظائر ذلك كثيرة.

❊ ❊ ❊

ولِمَ التكرار؟

يحسن التكرار إذا كان المقام يستدعيه فهنا المقام مقام عبادة للّه، وحضور قلب في الذكر وبُعْدٍ عن الشواغل فجاء التكرار:

❊ تأكيدًا لسمو هذه المعاني، وإثارة للنفس وتشويقًا لها.

❊ إيقاظًا للقلب؛ كي يعقل ما يقول ويتدبر ما يذكر.

❊ تعظيمًا للمذكور، واستحضارًا لهيبته.

فالتكرار يتمثل تأثيره في أمرين:

❊ **الأثر الصوتي**: وما فيه من نغمة وجرس يُؤثر في النفس ويُشوقها لسماع أو لقراءة هذا النمط من القول.

❊ **الأثر المعنوي**: وهو ترسيخ هذه المعاني وتثبيتها في القلب لئلا يُشْغَل عنها بعمله أو سعيه.

تذكرة خير

أذّكِرُك أخي الذاكر أن التسبيح ما هو إلا تمجيد وتنزيه للّه سبحانه،

(١) المنار المنيف، لابن القيم، ص٣٨.

واستحضار لكل معاني الجلال والعظمة التي تليق بالمولى ﷻ، ومن صور التنزيه:

١- حسن الظن باللّه سبحانه؛ لأن الذي يبخل خشية الفقر يسيء الظن باللّه؛ لذا قال ﷺ لبلال رضي الله عنه: «**أَنْفِقْ يَا بِلالُ وَلا تَخْشَ من ذِي العَرشِ إِقْلالا**»(١).

فسبح ربك الذي يُخلف على المنفقين والنبي ﷺ قال: «**مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ من صَدَقَةٍ**»(٢).

٢- نصرة الحق والولاء لله ولدينه: فقد يضعف الحق ويختبر الله الناسَ مَنْ سينصرُ دينه؟ ومَنْ سيخذله؟

قال ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠].

٣- أن تكون له عبدًا في كل حين كما أنه ربك في كل آن، وكن واحدًا لواحد على طريق واحد.

قال ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

٤- أن تُحِلَ الحلال، وتُحَرِّمَ الحرام، كما شرع لك المولى ﷻ، وتلزم الطاعة والحزن على المعصية، مر رَجُلٌ على عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو في الحجر يبكي فقال: أتعجبون أن أبكي من خشية الله، وهذا القمر يبكي من

---

(١) أخرجه البزار في مسنده برقم (١٣٦٦)، والطبراني في الأوسط برقم (٢٥٧٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٥١٢).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٢٤٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٢٤).

خشية اللّه؟! قال: ونظر إلى القمر حين كاد أن يغيب ولم يبقَ منه إلا القليل[١].

٥- عدم الإصرار على المعصية واستحضار قول النبي ﷺ: «**لَيْسَ شَيء إِلَا وَهُوَ أَطْوَعُ لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ ابْنِ آدَمَ**»[٢].

٦- عدم شكوى الخالق إلى المخلوق، وهذا ذنب عَرّفَكَ عقوبته (شفيق البلخي) في قوله: «مَنْ شَكَا مصيبة إلى غير الله لم يجد حلاوة الطاعة»[٣].

شرف الدنيا والآخرة

* **أخيرًا**: احمد الله الذي وفقك على تسبيحه، وتحميده وشكره، وذكره. لأن طاعة المولى سبحانه شرف الدنيا، ورفعة الآخرة.

واعلم أن للتوفيق ثمنًا ألا وهو خضوعك للّه، وامتثالك لأمره، وانتهائك عن نهيه، وإلا فاحذر الحرمان ويا لقسوة العقوبة نبهك إلى ذلك (إبراهيم بن أدهم) عندما قال له رجل: إنّي لا أقدرُ على قيام الليل فقال له: **لا تعصهِ بالنهار وهو يقيمك بين يديه بالليل، فإن وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشرف، والعاصي لا يستحق ذلك الشرف**[٤].

---

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر (٣٧/ ٤٦).

(٢) أخرجه البزار برقم (٤٣٧٤)، والطبراني في المعجم الصغير برقم (٩٠٨) وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٣٩٣).

(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٩/ ٣١٥).

(٤) تنبيه المغترين، ص٥٣.

أطعْ ربك نهارًا، يكرمك بتسبيحه وتحميده ليلا، واخضع لحكمه مساء، يُشَرِفُكَ بذكره وتسبيحه نهارًا، وإن لم تفعل فأنت محروم مُكَبّلٌ كبّلتْكَ آثامك وخطاياك.

هل عرفت الداء، والدواء؟ ها هو مولاك يدعوك سبحانه:

كَرِيمٌ إِذَا يمّمْتَ بالصّدْق بابَه فإنّك لا تَلْقَى على البابِ حاجبا[1]

(١) التذكرة في الوعظ، لابن الجوزي، صـ١٣١.